هبة السماء

ألقيت في حفل تأبين المرحوم أحمد شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية.

راحـوا بـأرواحٍ ظـمـاءْ يـتـهـافـتـون عـلـى الـفـنـاءْ
جـفَّـت حـلـوقٌ بـعـدهـم لـم تـلـق دونـهـمُ رواءْ
واهًـا لـكـأسٍ كـالـخُـلـو د ومـنـهـلٍ فـيـه الـشـفـاءْ!
كـنَّـا إذا ضـجَّ الـفـؤا دُ وضـاق بـالـدنـيـا ونـاءْ
نـمـضـي إلـيـه فـنـسـتـقـي ونَـعُـبُّ مـنـه كـمـا نـشـاءْ
فـالـيـومَ إذْ شـطَّ الـمـزا رُ بـكـم وقـد عـزَّ الـلـقـاءْ
وبـخـلْـتُـمُ بُـخْـلَ الـضَّـنـيـ ـنِ فـحـسْـبُـنـا قَـطَـراتُ مـاءْ

* * *

أيـن الأمـيـن عـلـى الإمـا رة والحريصُ على اللواءْ؟
قـبـسٌ أضـاء الـعـالـمـيـ ـن كـمـا تُـضـيءُ لـهـم ذكـاءْ
ثـم اخـتـفـى خـلـف الـغـيـو ب مـخـلِّـفًـا ظُـلَـمَ الـمـسـاءْ
فـكـأنـمـا هـبـة الـسَّـمـا ءِ قـد اسـتـردَّتـهـا الـسَّـمـاءْ!

* * *

جـزع الـريـاض لـطـائـرٍ غـنَّـى فـأبـدَع فـي الـغـنـاءْ
حـتـى إذا خـلـب الـعـقـو لَ وقـيـل: سِـحـرٌ لا مـراءْ!

ولَّى عن الأيك الفخو ... ر به إلى عرضِ الفضاءْ
فكأنَّه والسُّحْب تطـ ... ـويه فيمعن في الخفاءْ
دنيا من الأمل الجميـ ... ـل قد استبدَّ بها العَفاءْ!
ووراءها شفقٌ من الـ ... ـذكرى كجرحٍ ذي دماءْ!
وتسائل الدُّنْيا التي ... ناطت به كلَّ الرَّجاء
عن أي سرٍ طار عنْ ... هذي الرُّبى؟ وعلام جاءْ؟!
قُم يا فقيدَ الشعرِ وانْـ ... ـظُرْ أيُّ حفلٍ للرثاءْ!
أمَمٌ يُصبِّرُ بعضُها ... بعضًا، وهيهات العزاءْ!
هذي الجموعُ الباكيا ... تُ الساخطاتُ على القضاءْ
قاسمتها أشجانها ... ووفيت ما شاءَ الوفاءْ
أوَ لَمْ تجدكَ لسانَها الـ ... ـشاكي إذا احتدام البلاءْ؟
أَوَ لَمْ تكن غِرّيدَها ... ونديمها عند الصفاءْ؟
لِمَ لا توفِّيك الجميـ ... ـلَ وتَسْتَقلُّ لك الفداءْ؟!

* * *

ومُنَعَّمٍ بين القصو ... رِ قد اسْتَتَمَّ له الثراءْ
ما بالهُ حملَ الهمو ... مَ وجشَّم القلبَ العناءْ!
وينوءُ بالعبءِ الذي ... هو عن أذاه في غَناءْ!
ويحَ الذكاءِ وما يكلِّـ ... ـفُهُ من الثَّمَنِ الذكاءْ!
أضنى قواه ولم يدعْ ... من جسمهَ إلَّا ذماءْ
والمجد يوغل في حنا ... يا، روحه والمجدُ داءْ!

* * *

صرحٌ من الأدبِ الصميـ ... ـمِ له على الدنيا البقاءْ
الدَّهرُ يحمي ركنَه ... والفنُّ في روح البناءْ

* * *

(شوقي)! على رغم التفرُّ ... دِ والتفوقِ والعلاءْ

ذاك الـرقـادُ بـسـاحـةٍ كل الـرجـال بـهـا سـواءْ
وبـرغـم ذهـن كـالـفـرا شـة حـول مـصـبـاحٍ أضـاءْ
مـثـواك لا تـشـكـو الـسـكـو نَ ولا تـمـل مـن الـثـواءْ